لامرتين[1] ولوروج[2]

بمناسبة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام

للأستاذ محمد توحيد السلحدار

الله يهدي من يشاء و « لكل نفس هوى في الدين يمنيها » . فليس غريباً ألا يؤمن المسيحي إيمان المسلم ؛ غير أن بعضهم جهل أو تجاهل ، من كل وجه ، فضل الإسلام على الإنسانية والمدنية وقدر نبي المسلمين . وشعر بعضهم ، في أحوال شتى ، بحاجة إلى تقرير جانب من الحق في شأن هذا الدين القيم وآثر الاعتراف بعظم نبيّنا الكريم . ومن هذا الفريق رَيمون لوروج الذي ألّف كتاباً عنوانه « حياة محمد » ، طبعه فاسكيل[3] سنة ١٩٣٩ ، في باريس

وقد كتب له السيد قدّور بن غبريت مقدمة ذكر ضمنها أن تقديم مؤمن لكتاب صاحب له غير مؤمن أمر دقيق، خصوصاً في مقدمة لموضوع ليس بد من أن يتضح اختلاف نظريهما فيه ؛ وأنه هو لا يسلّم من غير تحفّظ بالمعنى البشري البحت الذي تصوّره المؤلف في النبي ، لبعد هذا المعنى عن الشهادة بالرسالة ، ولاعتقاد المسلم أن الحوادث والأزمات التي قد تكون وجهت محمداً نحو الرسالة هي أمور فوقها ذلك النداء السماوي وكلمات الله نشرها الرسول بأمانة وإقدام بين الناس . وإن السيد ، بعد أن تحفظ لهذا الخلاف على الأصل ، هان عليه أن يحيي ضمير المؤلف ونبوغه في ترجمته النبي

وذكر أيضاً أن المؤلف فيلسوف لا تضطرب نفسه من مسائل الأجناس ولا من تعارض المذاهب ؛ فهو يعيد المشاكل السياسية والاجتماعية كلها إلى مستوى المصالح المشتركة بين البشر أجمعين ، لأنهم على رغم الاختلاف الثانوي المؤقت الذي يفرقهم فيه جهلهم وحدّتهم الأصيلة ، ليس يمكن في الحقيقة تصورهم منقسمين انقساماً لا مرجع عنه

وذكر أن الكتاب يمثل جهداً من أصدق الجهود التي بذلت في جعل الكثيرين من غير المسلمين يعرفون قدر النبي ورفيع شأن الإسلام في تاريخ المدنية

وأهم ما جاء في هذه المقدمة كلام عن النبي للشاعر لامرتين يجانس الموضوع ، أورده السيد قدّور و « عرف فضله لفرنسا » وقصد بإيراده أن يعجب به أبناء ملته . وقد نقله من « تاريخ تركيا » حيث قال[1] ذلك السياسي الفرنسي ما ترجمته الحرفية :

« لم ينو إنسيٌّ قط ، عن إرادة ذاتية أو غير إرادة ، أن يبلغ غرضاً أسمى من غرض محمد إذ كان بلوغه فوق طاقة البشر : فهو تقويض الأباطيل التي جعلوها بين الخالق والمخلوق ، وهداية الإنسان إلى الله ، وإقامة معنى الربوبية المبنى على العقل والتقديس في بهرة ذلك الزحم المختلط من آلهة الوثنيين المادية المسيخة . ولم يعتزم إنسي صُنعاً قط ويبدأه بوسائل على مثل ضعف وسائله ومثل هذا التفاوت بين القوى البشرية والعمل المنوي : إذ أن محمداً ، في تصوره مشروعاً على هذه الضخامة وفي إنفاذه ، لم يكن له من وسيلة سوى نفسه ، ولا من مساعد غير عدد قليل من الرجال في ركن من الصحراء . وأخيراً لم يتم أنسيٌّ قط ، في زمن أقصر من زمنه ، انقلاباً في الدنيا على مثل هذه السمة وهذا الدوام : إذ لم يمض قرنان على الدعوة الإسلامية حتى كان الإسلام منادى به ، مسلحاً ، سائداً في ثلاثة البلاد العربية ، فاتحاً للتوحيد فارس وخراسان ، ومصر وأثيوبية والمعروف من أفريقية الشمالية بأسره ، وعدة من جزر البحر المتوسط ، وأسبانيا وجانباً من فرنسا

وإذا كان سمو الغرض ، وضعف الوسائل ، وجلال النتيجة ، أموراً هي ثلاثة المقاييس لعبقرية المرء ، فمن ذا الذي يجرؤ على أن يوازن من الجهة الإنسانية بين محمد ورجل من عظماء التاريخ الحديث ؟ فإن أشهرهم لم يقلّبوا غير أسلحة وقوانين وإمبراطوريات ؛ ولم يؤسسوا ، حين أسسوا شيئاً ، سوى دول مادية كثيراً ما انهارت قبلهم ؛ أما هذا فقد قلّب جيوشاً وشرائع وإمبراطوريات وشعوباً وبيوتات مالكة وملايين من الرجال في ثلث المعمور من الكرة ؛ لكنه زاد فقلب مذابح وآلهة

---

(١) Lamartine الشاعر الفرنسي ، السياسي ، المشهور (١٧٩٠ م - ١٨٦٩م) ؛ دخل مجلس النواب سنة ١٨٣٤ ، ثم كان عضواً في الحكومة المؤقتة التي أعلنت الجمهورية الثانية سنة ١٨٤٨

(٢) Raymond Lerouge كاتب من رجال فرنسا في مراكش

(٣) Fasquelle

(١) « تاريخ تركيا » لصاحبه لامرتين ، الجزء الثاني من طبعة باريس لسنة ١٨٥٤ ، ص ٢٧٦ و ص ٢٧٧